﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣﴾

[الكهف: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

نـــدَمُ الـرَّجُـلِ الكافِرِ، في وقْتٍ لا يَنْفَعُهُ نَدمٌ، ولا ينصرُه أحدٌ

لَمّا بَيَّن اللّهُ تعالى نَدَمَ الرَّجُلِ الكافِرِ، وتَمَنّيَهُ لَو لَم يَكُن قَد أَشْرَكَ باللّه سُبْحانَهُ؛ بَيَّن أنَّ نَدَمَهُ وقَع حيثُ لَم يَنْفَعْهُ النَّدَمُ لاسْتِدْراكِ ما ضاعَ مِن جَنَّتِه، وأنَّ ما وقَعَ عَلى جَنَّتِه مِنَ الهَلاكِ لا يُمكِنُ لَهُ رفعُهُ، ولَوْ تَولّى ذَلِكَ جَماعَةٌ كَبيرَةٌ تَنْتَصِرُ لَهُ، فقالَ ﷻ: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فِئَةٞ﴾: (فيأ) تَدُلُّ اشْتِقاقاتُها عَلى مَعْنى الرُّجوعِ، ومِنْهُ الفَيْءُ؛ وهو ما حَصَل للمُسْلمينَ مِن أموالِ الكُفّارِ مِن غَيْرِ قِتالٍ، سُمّيَ بذَلِكَ لأنَّه كأنَّهُ كانَ في الأَصْلِ لَهُم، فرَجَعَ إلَيْهِم، ويُقالُ للظِّلِّ الذي يكونُ بَعْدَ الزَّوالِ: فيْءٌ؛ لأنَّهُ يَرْجِعُ مِنْ جانِبِ الغَرْبِ إلى جانِبِ الشَّرْقِ[1]، والفِئَةُ: الجَماعَةُ مِنَ النّاسِ يَفيئونَ إلى الرَّئيسِ، أي: يَرْجِعونَ إلَيْه[2]، وعرَّفها الرّاغِبُ: بأنَّها الجماعَةُ المُتظاهِرَةُ التي يَرْجِعُ بَعْضُهم إلى بَعْضٍ في التَّعاضُدِ[3]، ومِنْهُ قولُ اللّه تَعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾ [الأنفال: 45]، وقَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

2) ﴿مُنتَصِرًا﴾: تَدورُ مادَّةُ (نصر) حول مَعْنى إتيانِ خيرٍ وإيتائِه بما فيه زيادةٌ مناسِبةٌ وقوَّةٌ، ولازِمُهُ: دَفْعُ الضُّرِّ[4]، ومِنْهُ سمّيَ المطرُ

(1) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (فيء).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة: (فيء).
(3) الراغب، المفردات: (فيء).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نصر)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (نصر).

نصرًا[1]، والنَّصْرُ على العَدوِّ: الإعانةُ عليْه في حَرْبٍ أو غيرها؛ بقوَّةِ النّاصر وغَلَبَتِه[2]، والمُنْتَصِرُ: المُمتَنِعُ بنَفْسِه وقوَّتِه لدَفْعِ بَلاءٍ نازِلٍ عليْهِ، ومِنْهُ قولُ اللّه تَعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وَلَم تَكُن لَهُ جَماعَةٌ وعَشيرَةٌ ممَّنِ افْتَخَر بهِم يَمنَعونَهُ مِمّا نزلَ به مِنْ عِقابِ اللّه سُبحانَهُ، وما كانَ مُمتَنِعًا بنَفْسِه وقوَّتِه[3].

لا يَمنَعُ أَحَدٌ مِنْ عِقابِ اللهِ تَعالى، ولا أحدَ يَنصُرُ مِن دونِه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَلَمْ تَكُن﴾:

الواوُ في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بَعْدَها عَلى جُملَةِ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾، وبينَ الجُملَتَيْنِ تَوَسُّطُ بينَ الكَمالَيْنِ؛ لاشْتِراكِهما في الخَبَريَّة، وبينَهُما تَناسُبٌ في المَعْنى؛ إذْ كِلاهُما واردٌ في بَيانِ مآلِه ومآلِ جَنَّتِه.

بَيانُ مآلِ الرَّجُلِ الكافِرِ، ومآلِ جَنَّتِهِ

تَنَوُّعُ القِراءاتِ، وأَثَرُهُ عَلى المَعْنى:

قُرِئَ الفِعْلُ ﴿تَكُن﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ بوَجْهَيْن؛ أحَدُهما: بالياءِ على التَّذكيرِ ﴿يَكُن﴾، وهي قراءَةُ حَمزَةَ والكِسائيِّ وخلَفٍ، والآخَرُ: بالتّاء عَلى التَّأْنيث ﴿تَكُن﴾، وهيَ قِراءَةُ باقي العَشرة[4]، فالتَّأْنيثُ فيه مُراعاةٌ للَفْظِ ﴿فِئَةٌ﴾، والتَّذْكير روعيَ فيه أَنَّ التَّأْنيثَ غَيْرُ حَقيقيٍّ، وقَد فُصلَ بينَ الفِعْلِ والفاعِلِ بالجارِّ والمَجْرورِ ﴿لَّهُۥ﴾[5].

التَّكامُلُ الدِّلاليُّ للقِراءاتِ القُرْآنيَّةِ

دِلالَةُ النَّفْيِ بـ ﴿وَلَمْ﴾ في السِّياق:

أوثَرَ التَّعْبيرُ بحَرْفِ النَّفْي ﴿وَلَمْ﴾ في قَوْلِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَلَمْ

تَحَقُّقُ نَفْيِ النُّصْرَةِ، بقلبِ المضارعِ إلى الماضي

(1) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (نصر).
(2) الفيّوميّ، المصباح المنير: (نصر).
(3) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 298.
(4) ابن الجزري، النشر: 2/ 311.
(5) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 466، ومحمّد سالم محَيْسِن، الهادي شرح طيبة النّشر: 3/ 13.

تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ لكَوْنِ هَذا الحَرْفِ يَقْلِبُ دِلالَةَ الفِعْلِ المُضارِعِ إلى مَعْنى المُضيِّ، وذلكَ أَدَلُّ عَلى مَعْنى تحَقُّقِ هَذا النَّفْيِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِفِعْلِ الكَوْنِ:

بيانُ أنّ إيقاعَ اللهِ تعالى الهَلاكَ بجَنَّةِ الرَّجُلِ الكافِرِ، من عدْلِ الله

آثَرَ البيانُ القُرْآنيُّ التَّعْبيرَ بنَفْيِ الكَوْنِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، دونَ تَسْليطِ النَّفْيِ عَلى فِعْلِ النَّصْرِ، بأَنْ يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وَلَم تَنْصُرْهُ فِئَةٌ)؛ للدّلالَةِ عَلى أنَّ المُرادَ نفيُ قابليَّةِ النَّصْرِ والقُدْرَةِ عليْهِ، فالمَعْنى: لَم تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ تَقْدِرُ عَلى نُصْرَتِه، واللهُ سبحانه قادِرٌ عَلى ذَلِكَ، أمّا لو جاءَ النَّظْمُ القُرْآنيُّ: (وَلَم تَنْصُرْهُ فِئَةٌ مِن دونِ اللهِ)؛ لأفادَ ذَلِكَ أنَّ الفِئَةَ لَم توقِعِ النَّصْرَ، وأنَّ اللهَ ﷻ هو الذي نَصَرَهُ، والواقِعُ أنَّ اللهَ تعالى لَم يَنْصُرْهُ، بَل أَوْقَعَ به عذابَهُ[1].

الغَرَضُ مِنْ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿لَّهُۥ﴾:

افْتِخارُ الرَّجُلِ الكافِرِ بعَشيرَتِهِ، لَم يَنْفَعْهُ شَيْئًا

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿لَّهُۥ﴾ عَلى اسْمِ كانَ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ للدّلالَةِ عَلى الاهْتِمامِ بالمَنْفيِّ عَنْهُ، لا للدّلالَةِ عَلى القَصْرِ؛ لأنَّ إفادَةَ القَصْرِ تَقْتَضي إثباتَ وُقوعِ النَّصْرِ مِن دونِ اللهِ تعالى لغَيْرِهِ مِنَ العِبادِ، ومَعْنى الآيَةِ: هَذا الرَّجُلُ الذي افْتَخَرَ بجَمعِه وعَشيرَتِهِ؛ لَم يَجِدْ شَيْئًا مِن ذَلِكَ ناصِرًا لَهُ ودافِعًا عَنْهُ عذابَ اللهِ تَعالى.

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ، باسْمِ كانَ نَكِرَةً مَوْصوفَةً:

بَيانُ عَظيمِ حَسْرَةِ المشرك، وبَيانُ قُدْرَةِ الله ﷻ عليه

وَرَدَ اسْمُ كانَ نَكِرَةً في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، لإفادَةِ عُمومِ النَّفْيِ؛ لأنَّها نَكِرَةٌ في سياقِ النَّفْيِ، وهيَ مِمّا يُسْتَفادُ مِنْهُ العُمومُ، ووُصِفَت النَّكِرَةُ ﴿فِئَةٌ﴾

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 90.

بجُملَةِ ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾، وهُما واقِعانِ في حَيِّزِ النَّفْيِ، فيُحْتَمَلُ أَن يَكونَ هَذا النَّفْيُ مُنْسَحِبًا عَلى القَيْدِ فقَط، والمَعْنى: أنَّ له فئةً، ولَكِنْ لا تَقْدِرُ عَلى نَصْرِهِ، ويَجوزُ أَن يَكونَ النَّفْيُ مُسَلَّطًا عَلى الفِئَةِ، وإذا انْتَفَتِ الفِئَةُ انْتَفى وصْفُها؛ والمَعْنى: لا فِئَةَ حاصِلَةٌ لَهُ، فلا نَصْرَ حاصلٌ أصلًا[1]، والأوَّلُ أَقْوى في إفادَةِ عظيمِ حَسْرَتِه وبيانِ قُدْرَةِ اللّٰه ﷻ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالمُضارِعِ ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾:

عُبِّرَ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ من قَوْلِ اللّٰه تَعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ للدّلالَةِ عَلى الاسْتِمرارِ التَّجَدُّدِيِّ، والمرادُ: دوامُ هَذا النَّفْيِ لا نَفْيُ الدَّوامِ؛ إذِ المَقْصودُ مِنَ الآيَةِ بَيانُ انْتِفاءِ نَصْرِ أَيِّ فِئَةٍ لَهُ انْتِفاءً مُسْتَمِرًّا؛ لعَجْزِهِم عَن مُدافَعَةِ قَدَرِ اللّٰه تَعالى بإهْلاكِ جَنَّةِ الرَّجُلِ الكافِرِ.

إبرازُ عَجْزِ الخَلائِقِ عَنْ مُدافَعَةِ قَدَرِ الله تَعالى

سِرُّ التَّعْبيرِ بالقَيْدِ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

في التَّعْبيرِ بالقَيْدِ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من قَوْلِ اللّٰه سُبْحانَهُ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تصريحٌ بالقادِرِ عَلى الحَقيقَةِ بَعْدَ نَفْيِ القُدْرَةِ عَنِ الفِئَةِ، والمَعْنى: أنَّ اللّٰهَ ﷻ هو القادِرُ عَلى النَّصْرِ وحْدَهُ دونَ سِواهُ[2].

انْفِرادُ اللّٰه تعالى بالقُدْرَةِ عَلى النَّصْرِ، الّذي لا يحقّقُه أحدٌ سواه

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالاسْمِ الأَحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾:

في اخْتيارِ التَّعْبيرِ بالاسْمِ الأَحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾، من قَوْلِ اللّٰه ﷻ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إيماءٌ إلى العَظَمَةِ؛ لأنَّ السّياقَ في بَيانِ قُدْرَةِ اللّٰه تعالى عَلى النَّصْرِ، والاسْمُ الأَحْسَنُ ﴿ٱللَّهِ﴾، أَجْمَعُ الأَسْماءِ الحُسْنى لمعاني الجَلالِ والكَمالِ.

الاسْمُ الأَعْظَم (اللّٰه)، أَجْمَعُ الأَسْماءِ الحُسْنى لمَعاني الجَلالِ والكَمالِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 181.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 224.

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾:

نَفْيُ جَميعِ أَوْجُه الاستنصار، بأيِّ فئةٍ سوى العزيزِ الجبّارِ

الواوُ في قَوْله تَعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ عاطفةٌ، وذلكَ أَنَّ بينَ الجُملَتَيْنِ تَوَسُّطًا بينَ الكَمالَيْنِ؛ لاشْتِراكِ الجُملَتَيْنِ في الخَبَريَّةِ، وحسَّن الوصلَ اشْتِراكُهما في الاسْميَّةِ - إذا لَم نَعْتَدَّ بالفِعْلِ النّاسِخِ، وهو قول جماعةٍ مِنْ أهلِ العربيَّةِ - واتِّفاقُهما في فِعْلِ الكَوْنِ، وفي عَطْفِ هذه الجُملَةِ عَلى جُملَةِ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، نَفْيٌ للنُّصْرَةِ مِن جَميعِ أَوْجُهِها، فلَم يَنْتَصِرْ بنَفْسِه ولا بغَيْرِه.

دِلالَةُ النَّفْيِ بـ ﴿وَمَا﴾ في السّياق:

تَأْكيدُ نَفْيِ امتناعِه بنَفْسِه مِنْ عَذابِ اللهِ تَعالى

في إيثارِ النَّفْيِ بـ ﴿وَمَا﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ تأكيدٌ لنَفْيِ امتناعِه بنَفْسِه مِن عَذابِ اللّه سُبحانَهُ؛ وذلكَ لأنَّ في (ما) مَعْنى التَّأكيد، كَما قالَ سيبَوَيْهِ: "وإذا قالَ: (لقَدْ فعل)؛ فإنَّ نَفْيَهُ: (ما فعل)؛ لأنَّه كأَنَّه قالَ: (واللّه لَقَدْ فعل)، فقالَ: (واللّه ما فعل)"[1]، فهيَ آكَدُ في النَّفْيِ مِنْ (لَم)[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بفِعْلِ الكَوْنِ ﴿وَمَا كَانَ﴾:

بيانُ عدمِ قُدْرَتِه عَلى الانْتِصارِ بنَفْسِهِ، مِنْ عَذابِ اللهِ وبأسِه

اخْتارَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بنَفْيِ الكَوْنِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ للإيماءِ إلى أنَّ هَذا شأْنُهُ وطَبْعُه في الماضي، وهوَ مُسْتَمِرٌّ عَلى تِلْكَ الحالِ، فلا يَتَأَتّى لَهُ أَن يَنْتَصِرَ بنَفْسِه مِنْ عَذابِ اللّه تَعالى فيَدْفَعَهُ عَنْهُ.

الغرضُ من إضمارِ اسمِ ﴿كَانَ﴾:

التّعبيرُ بالضّميرِ لتعيُّنِه؛ لكونِه محورَ القصَّةِ ومَركزَ العِبرةِ، فلا حاجةَ لذِكْرِه، ولئلّا يظهرَ له ذِكرٌ مع ذكرِ النَّصر حتّى لو كان نفيًا.

(1) سيبويه، الكتاب: 3/ 117.
(2) السّامرائيّ، معاني النَّحو: 4/ 569.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بخَبَرِ كانَ ﴿مُنتَصِرًا﴾، بصيغة اسْمِ الفاعِلِ:

ضَعْفُ العِبادِ وعَجْزُهُم أَمامَ قُدْرَةِ الله تَعالى وقوَّتِهِ

عُبِّر عَن خَبَرِ كانَ ﴿مُنتَصِرًا﴾ اسمَ فاعلٍ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾؛ للدّلالَةِ عَلى ثبوتِ هَذا الوَصْفِ فيه ولُزومِه لَهُ، فعَدَمُ قدرةِ العَبْدِ على الامتِناعِ مِن عَذابِ اللّه تَعالى النّازِلِ به أمرٌ لازِمٌ لَهُ، لا يَنْفَكُّ عَنْهُ بحالٍ؛ لضَعْفِه وعَجْزِه أمامَ قوَّة اللّه سُبْحانَهُ وقُدْرَتِه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»